جامعة الوصل
ALWASL UNIVERSITY

أعمال

المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية

بكلية الآداب - جامعة الوصل

اللغة العربية وتكنولوجيا التحول الرقمي: المنجز والواقع والمأمول

16 - 17 نوفمبر 2022

بحوث علمية مُحَكَّمَة

جامعة الوصل
ALWASL UNIVERSITY

جامعة الوصل
AL WASL UNIVERSITY

أعمال

المؤتمر الدوليّ الثاني للغة العربية

بكلية الآداب - جامعة الوصل

اللغة العربية وتكنولوجيا التحول الرقمي: المنجز والواقع والمأمول

16 - 17 نوفمبر 2022 م

بحوث علمية مُحَكَّمَة

تقديم

تسعى كلية الآدب بجامعة الوصل دوما، نحو الجودةِ والتميز، وتحث الخطى لتكون مختبرا لعلوم اللغة وآدابها، ولمناهج البحث العلمي وطرق اكتسابه من مصادره، ولتكون مركزا للإشعاع الثقافي والعلمي، ومنارة له، يعشو الجميع إلى ضوئها، ليقتبس منها ما يضيء به طريق التطور والتقدم والنماء، من فكر حر إنساني متسامح، راسخ الجذور في الثقافة العربية الإسلامية، متطلع إلى التجدد والابتكار والريادة، في بيئة علمية هي بيئة مدينة دبي التي تجتذب ولا تطرد، وتجمع ولا تفرق، تنشر الود والإخاء والاعتراف بالآخر، وبحقه في الاختلاف الذي هو سنة الله في خلقه.

هذه الكلية ركن ركين من أركان جامعة الوصل، أعدته ليكون قاطرة الوصل بين مجد الماضي، وعزة الحاضر، وكبرياء المستقبل، قاطرة محركها لغة القرآن؛ فاللغة في هذا العصر، كما في كل عصر، هي أداة التفكير والإنتاج المعرفي ومكتنزهما، ومولِّدُهما ومستثمرهما، من جهة، وهي من جهة أخرى، قطب رحى هوية الأمة، ومحدد منزلتها في الكون المحيط بها، منها تنطلق نهضة كل أمة، وبها تتحدد فاعليتها وكفاءتها في محيطها وفي العالم.

تعي جامعة الوصل أهمية اللغة وعلومها؛ لذلك تكثف عطاءها في هذا الجانب من جوانب نشاطاتها المتعددة الأوجه:

- تكوين آلاف الخريجين على مستوى البكالوريوس، ومئات الخريجين على مستوى الماجستير والدكتوراه، كلهم ينشرون رسالتها الآن في جميع الأنحاء.
- نشر مئات الرسائل والكتب العلمية، الموزعة بين أيدي الأفراد.
- عقد مئات الندوات العلمية والمحاضرات التثقيفية المستمرة على مدار السنة.
- تنظيم المؤتمرات العلمية الدولية الدورية: مؤتمر الدراسات العليا، مؤتمر الدراسات اللسانية والسردية، المؤتمر الدولي للغة العربية، الذي يعقد كل سنتين، والذي تقدم هذه الكلمة حصيلة دورته الثانية التي جرت وقائعها على مدى إحدى عشرة جلسة علمية، يومي 16و2022/11/17، تعاقب خلالها على المنصة خمسون باحثا من

أقطار عربية متعددة، قدم كل منهم عصارة تفكيره، وخلاصة بحثه وتنقيبه، وثمرة تجربته وخبرته التي نماها على مدى عقود من الجد والاجتهاد. وتخللت هذه الجلسات شهاداتٌ وتجاربُ لشخصيات علمية مشهود لها بعمق الخبرة، وثراء التجربة وغنى العطاء.

تناولت الأوراق البحثية الخمس والأربعون المعروضة في الجلسات:

- علاقة اللغة العربية بتحديات مجتمع المعرفة، وبالذكاء الاصطناعي.
- أهمية اللسانيات التطبيقية في حوسبتها ورقمنتها.
- دور كل من المكتبات والمعاجم الإلكترونية والترجمة الآلية.
- صناعة المعجم الرقمي لغير الناطقين بالعربية.
- أهمية المنصات والمدونات الرقمية، في النهوض بهذه اللغة وبمجتمعها، وما تسهم به البرامج والتطبيقات الإلكترونية في تسهيل تعلمها وتعليمها في دولة الإمارات.، وفي غيرها...

وخرج المؤتمرون بعدد من التوصيات التي تصب كلها في طرق الاستفادة من الذكاء الاصطناعي في تطوير المعارف والمهارات الداعمة لتنمية هذه اللغة:

- تصميم التطبيقات اللغوية متعددة التخصصات: اللسانيات التربية، البرمجيات.
- الإفادة من المنصات والبرمجيات مفتوحة المصدر وتطبيقها في مصادر المعلومة.
- اعتماد البرامج الإلكترونية لتحليل المستويات اللغوية.
- توظيف ما يُنتج للأطفال من مواد أدبية وتعليميّة عبر المنصات الرقمية باللغة العربية، في المناهج التعليمية المدرسية.
- إنشاء منصات للأدب الرقمي تكون فضاء للكتابة والنشر والترجمة والتواصل.
- بناء قواعد البيانات الداعمة للنهوض بهذه اللغة.

- تنظيم مؤتمرات وورشات عمل تهتم بتطوير المناهج المتعلقة بدراسة اللغة.
- تكثيف الدورات التدريبية في مجال الحاسوبيات والبرمجيات.
- تدعيم المحتوى العربي على الشبكة العالمية.

وواضح من القضايا، المعروضة في هذه المدونة البحثية، والقضايا التي أثيرت أثناء جلسات المؤتمر وضمن التوصيات التي اختتم بها، أنها كلها مساءلات لمستقبل البحث في هذه اللغة وفي مجتمعها، وسعي لتطوير أدوات هذا البحث، واستشراف لإمكانات مستقبله، في ضوء ثورة المعلومة وفتوحات الذكاء الاصطناعي.

هذه عينة من عطاء هذه المؤسسة الرائدة، التي يغترف من معينها آلاف الطلبة والباحثين منذ أكثر من ثلاثة عقود من الزمن، وما زال عطاؤها في تزايد، وسيبقى بحول الله، وبسخاء القائمين عليها، الذين ينشرون العلم والخير بغير حساب.

أ. د. محمد عبد الحي

الرئيس التنفيذي للمؤتمر

فهرس الموضوعات

م	اسم الباحث	عنوان البحث	الصفحة
1	د. فاطمة المومني	أثر استخدام الوسائل التكنولوجية في تدريس اللغة العربية	9
2	أ. د. الريدي عبد الحفيظ عبد الرحمن حمدان	الأدب الرقمي .. إبداع بأدوات العصر ((مقاربات في المفهوم والآفاق والأدبية))	27
3	د. محمد العنوز	الأدب الرقمي بين الإنتاج والتلقي	59
4	د. لبنى المفتاحي	الأدب الرقمي: المفهوم والاشكالية والتطبيق	79
5	أ. د. عبد الله العشي	الأدب الرقمي، الهوية السائلة وإعادة تبيئة الكتابة	105
6	د. إيمان عصام	الأدب العربي بين الحتمية الشفاهية والرقمنة العصرية	125
7	د. يوسف بن سالم	الازدواجية اللغوية في الأنظمة السمعية البصرية	153
8	د. درقاوي كلتوم	استثمار مفاهيم الأدب الرقمي في تعليمية الأدب والنصوص	179
9	أ. د. هدى صلاح رشيد	استعمال المنصات الإلكترونية في تعليم اللغة العربية ونشرها حول العالم	191
10	د. علي بولعلام	الترجمة الآلية الأساس الهندسي - اللساني	207
11	أ. هاجر عيادة الكبيسي	التطبيقات المجانية وشبه المجانية في نظام أندرويد لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها - دراسة تقييمية	235
12	جابر عبد الحسين الخلصان النعيمي	تعليم اللغة العربية في الواقع الرقمي فرص وتحديات	261
13	أ. سنوسي محبوبة	تعليمية اللغة العربية بالجامعة الجزائرية عبر منصات التعليم الإلكتروني	305
14	أ. د. يوسف خلف العيساوي	تقريب العربية في مدونة الفتاوى اللغوية لمجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية	331

15	د. بدر بن سالم بن جميل السناني	توظيف الصورة البصرية في صناعة المعجم لغير الناطقين بالعربية، الحقول الدلالية نموذجا	359
16	لحسن بوشال	توظيف الصورة السينمائية في بناء القصة الرقمية عند محمد سناجلة قصة "صقيع" أنموذجا	389
17	أ. صابرينه بوقفة	جمالية وحركية الصور في المنجز السردي الرقمي - قراءة في رواية شات	409
18	د. هيثم زينهم أ. د. لعبيدي بوعبدالله	حوسبة الدلالات الحقيقية والمجازية نحو بناء تطبيق ميثالساني محوسب	427
19	سليم زويش	الذّكاء الاصطناعي؛ برامج وتطبيقات في خدمة اللغة العربية	467
20	أ. جازية مغاري	الذكاء الاصطناعي وتمثّلاته في المبحث الصوتي الفونيمات التطريزية - أنموذجا	493
21	د. آمنة بلعلى	سؤال الأدب الرقمي ورهان التنظير والإجراء	519
22	أ. هند العنيكري	صناعة المعاجم الإلكترونية للناطقين بغيرها	537
23	د. خميسي ثلجاوي	اللّغة العربيّة وسلطة الخطاب الافتراضي قراءة في ضوء البلاغة الرّقميّة	559
24	مهرهرة مليكة	معجم Visual Bilingual Dictionary - arabic english - أنموذجا	581
25	د. عبد اللّاوي سومية	المكتبات الإلكترونية العربية - عرض وتقييم -	613
26	د. عيشة كعباش أ. د. زكية منزل غرابة	المكتبات الرقمية ودورها في إمداد الباحثين بمصادر البحث العلمي في مجال اللغة العربية دراسة ميدانية	635
27	د. أحمد الصادق بوغنبو	منهاج اللغة العربية في ضوء الذكاء الاصطناعي: رؤية في مكونات التطوير ومقترحات التنزيل	655

اللّغة العربيّة وسلطة الخطاب الافتراضي
قراءة في ضوء البلاغة الرّقميّة

د. خميسي ثلجاوي
مدرس بجامعة قفصة – تونس

الملخص

تندرج هذه الدّراسة في سياق الكشف عن ملامح التّطور الذي تشهده اللغة العربيّة في ضوء الحضور النوعي للتكنولوجيا الحديثة. فقد أتاحت هذه وسائل إمكانات جديدة لانتشار اللغة وتطورها ويظهر ذلك على مستويات متعدّدة. ففي مراحل متقدّمة تمّ برمجة الحرف العربي في الحاسوب، وصار أكثر تناغما مع الدّلالات العربيّة في سياقات مختلفة. كما ساهم الانفتاح على التكنولوجيا في انفتاح اللغة العربيّة على البرامج المعدة للتحليل المادة اللغوية تحليلا صوتيا ومعجميا ودلاليّا، فضلا عن تطوّرت المصادر اللغويّة وكثرت المعاجم الالكترونيّة. كما ساهم الانتقال في الخطاب من الشفوي إلى الشاشة في حفظ تراثنا اللغوي المنطوق وجعله رقميّا مسجلا. فضلا عن تحوّل المكتوب إلى نصوص رقميّة فائقة سريعة الانتشار. كما غذّى التّحوّل الحاصل في الخطابة من السّاحة إلى الشّاشة إلى فرض سلطتها على الآخر والتأثير فيه خاصة في ضوء انتشار التّرجمة الآليّة التي صارت مجاورة للترجمة البشريّة. فبفضل توفر تطبيقات جديدة دعّمت سلطة المنطوق الذي صار يترجم فوريا بمرونة وهو ما من شأنه أن يمكّن الآخر من فهم الذي يتكلّم بغير لغته. ولا ننسى انفتاح العربيّة المتجدد على التّعليم ومجالات أخرى من الحياة. وعلى هذا الأساس فإن بحثنا الموسوم اللّغة العربيّة وسلطة الخطاب الافتراضي: قراءة في ضوء البلاغة الرّقميّة ينزل في سياق الحديث عن تطور اللغة العربيّة وطواعيتها للاشتغال وفق تطبيقات رقميّة. وعليه فإنّ الخطابات الرقميّة لها حضورها وسلطتها على المتقبل. وهو ما سنكشف عنه انطلاقا من استثمارنا لآليات المنهج الوصفي التّحليلي انطلاقا من الخطة المنهجيّة المرسومة في الغرض:

1. العربيّة من الخطابة إلى الشاشة
2. النّصوص الفائقة وسلطة الخطاب الرّقمي
3. سلطة الخطاب وتحوّلاته من الألسنيّة إلى الفضاء الرّقمي
4. العربيّة وحضور المعنى وغيابه في الفضاء الرّقمي

الكلمات المفاتيح: البلاغة الرقميّة- النصّ الفائق-السّلطة- الخطابة - الشاشة- النّص المتشعب، الوسائط- المعنى- الحامل- اللغة العربيّة.

Abstract

This research paper falls within the study of the developments that the Arabic language has witnessed in the presence of modern technology, which has contributed to the spread and development of language at different levels. In fact, in earlier stages, the Arabic letter was programmed into the computer, and this has become more in harmony with Arabic connotations in different contexts. The openness to technology has also contributed to the openness of the Arabic language to programs designed to analyze linguistic material phonetically, lexically, and semantically. Linguistic sources have also developed, and electronic dictionaries have proliferated. The transition in discourse from oral to screen has also contributed to preserving our spoken linguistic heritage, making it digitally recorded, in addition to the transformation of the traditional texts to rapidly spreading digital texts. These changes in rhetoric, especially its integration to the screen, have highly influenced our relation to the «other», particularly with the spread of machine translation, which has become adjacent to human translation. The presence of new technologies has strengthened the power of the spoken language, which can now be interpreted simultaneously and flexibly; a fact that could enable the speaker of other languages to understand speakers of languages other than their own. Similarly important is the fact of the renewed openness of the Arab world to education and other areas of life. In this respect, this research paper studies the development of Arabic language and its flexibility to work through the use of digital technologies. Applying the descriptive-analytical approach to the study of digital rhetoric, the present article seeks to show the impacts of digital discourses on the receiver. To this end, the article is divided into five main parts. Part one reviews the transfer of the Arabic language from public speaking to the screen. Part two examines the relationship between hypertext and the power of digital discourse. Part three studies the power of discourse and its transformations from the linguistic to the information space. Part four investigates the presence and absence of meaning in relation to Arabic in the digital space. The article ends with discussing the challenges of the Arabic language in the digital spaces.

Keywords: digital rhetoric; hypertext; Arabic language; power; screen; meaning, Arabic Language.

تمهيد

لقد طال الحاسوب كل المجالات من ذلك اللغة بوصفها أداة يعبر بها كل قوم عن أغراضهم كما نوه بذلك ابن جني. ومن منطلق أنّ اللغة العربية ليست منغلقة على ذاتها فقد شهدت تحولات عززت انفتاحها على مجالات مختلفة. من ذلك اتصالها بالعوالم الافتراضيّة التي غذت سلطتها وساهمت انتشارها وهو ما سنسعى إلى بسط القول فيه انطلاقا من محاولة فهم المسار التي أصبحت اللغة عليه في إطار التحول من سلطة الشفوي والمكتوب إلى سلطة المرئي والرقمي؟ فإلى أي حد حققت اللغة العربية نقلة نوعية في إطار سلطة النصوص الافتراضيّة؟ وما رهاناتها في ذلك؟

1- العربيّة من الخطابة إلى الشّاشة

لئن انتبه أرسطو إلى الأسلوب في الفصل الثّالث من مصنّفه الخطابة، وعرض فيه سمات كل نوع من الأساليب، بدءا بالصّوت مرورا ببنية الجملة والنّص، فقد توقف أيضا عند المحسنات البديعيّة، وشيوع المجازات وبيّن دورها في تحسين الخطاب، وسلطتها التأثرية في المتلقي. غير أنّ اللافت للنظر أنّ أرسطو لم يكن استثناء في ذلك، فالكثير من البلغاء أبدوا اهتمامهم أيضا بكفاءة الصّوت لدى الخطيب، فالجاحظ مثالا أشار إلى الحبسة وكلّ» ما يعتري اللسان من ضروب الآفات مثل اللجلجة، والتمتمة واللثغة، والفأفأة والصفير الناتج عن خلع الأسنان الأماميّة، واضطرابات مخارج الحروف، إضافة إلى عيوب الكلام مثل العيّ والحبسة، والاستعانة، كما تناول سمات الصّوت مثل الجهارة والضآلة وسعة الأشداق»[1]. وهذا ما يؤكد عناية الأوائل بمقومات الخطبة والخطاب النّاجح.

وقد تطوّر هذا الأمر وأخذ أبعادا جديدة في ضوء الشفاهيّة الجديدة وتغيّر مراسم التّقبل، حيث غدا الاهتمام مركّزا على الأصوات والعناية بقوة الصوت ووضوحه، في عصر توفرت فيه وسائل مضخمة للصوت خلافا لسياق التّلقي التّقليدي. فقد كان الخطباء في حاجة إلى إسماع أصواتهم بوضوح لجمهور متفاوت الحجم، وإن حصل عكس ذلك يفشل الخطاب ويؤدي إلى انصراف الجمهور، باعتبار الفشل المفترض للخطبة. وعلى هذا الأساس ندرك التّحديات التي كانت تواجه الخطيب في سياق التّواصل التقليدي، خاصة إذا ما تعيّن عليه أن يخاطب جموعا ضخمة في فضاءات مفتوحة.

1- عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة، 2003، ص370.

كذا الأمر بالنسبة لعمليات التّواصل الحديثة، حيث أتاحت بعض التّقنيات إمكانات عالية للصّوت، من ذلك مضخمات الصّوت مثلا والتّصرف في طرق إخراجه وفق بيانات مسجّلة من شأنها أن تحقق تأثيرات إضافيّة، قد تفعل فعلها في المتلقي، خاصة وقد شقّت الخطابات المستحدثة طريقها نحو الانتشار السّريع بآليات وسائط مختلفة. وعلى هذا الأساس شقّت اللغة العربيّة طريقها إلى الانتشار شأنها في ذلك شأن كلّ لغات العالم. فقد تهاجر بعض المفردات العربيّة وتصطبغ بسمات جديدة في إطار عمليات التّداخل بين اللغات، شأنها شأن ذوات تسعى إلى التّحرر من سلطة الزمان والمكان لضمان بقائها حينما يضيق عليها المكان الموضوعيّ ويستأصلها الزّمان. وعليه فإنّ اللغة العربيّة يمكن أن تجد نفسها أمام خيارات، إمّا أن تتخذ من لغة العالم لسانا ينطق عنها أو هي تنطق به، أو تشتق لنفسها فسحة خاصة تجعلها تتميز عن غيرها من لغات العالم الأخرى علّها تتمكن من إعادة صياغة ذلك العالم وتشكيله من جديد، خاصة في ضوء انفتاحها المتجدد على اللغات الأخرى ونظرا لاتّساع دوائر التّواصل والتخاطب بين سكان المعمورة[1].

ومثلما استطاعت وسائل الاتصال الحديثة أن تحول العالم إلى قرية صغيرة فإنّ هذه اللغة ليست بمنعزل عن هذا التّطور الباهر، فقد استطاعت أن تكتسح كل الفضاءات بتفاعلها مع كل البرمجيات وقد اتخذت في ذلك صيغا متنوعة، وهو ما مكّنها من تكون فاعلة في الوسائط الافتراضيّة. ولئن أكّدت بعض التقارير الحالة الصعبة التي تمر بها في زمن العولمة إلّا أنّها أكّدت كذلك « القدرات الذّاتية للغة، وتقنيات مجتمع المعرفة، يمنحان اللغة العربيّة فرصة لتجاوز الركود المهيمن عليها»[2]. كما مكّنتها خاصيات الاندماج السّريع من التّماهي مع لغات أخرى شرط أن المحافظة على هويتها. فضلا عن حضورها بمستويات متنوعة كالدّارج والفصيح. ونظرا لكون المجتمعات العربيّة لا تزال تحافظ على حيويتها وتنوعها وإقبالها على قيم التّقدم والحداثة كما أشار إلى ذلك تقرير العربيّة 2009 الذي نصّ على أنّ قواعد اللغة العربية لا تُمثّل عوائق أو كوابح، وإنّما تتوفر على إمكانات لإنشاء قواعد جديدة وبديلة، مثلها مثل باقي اللّغات في العالم تتطور وتتراجع وتلحقها أغراض التحول التي تلحق الوسائط والرموز الثقافيّة في التّاريخ»[3]. ولا شكّ أنّ الباحث العربي الذي صار بإمكانه اليوم» التّوصل إلى جذر الكلمة، آليّا وعبر معدلات رياضيّة، وقواعد مبنيّة

1- يمكن العودة إلى: محمد حسن البرغوثي الثقافة العربيّة والعولمة، دراسة سوسيولوجيّة لآراء المثقفين العرب، ط1، الأردن، 2007.

2- تقرير تنميّة اللغة العربيّة 2009، نحو تواصل معرفي منتج، الامارات العربيّة المتحدة، 2009، ص64.

3- تقرير تنمية اللغة العربية2019: ص63.

على تركيبات منظمة، وعلى المنهج الكشف، باستعمال أدوات الرّبط والأحرف الوسيطة التي تلعب دور المنسق في حالات كثيرة»، فإنّه لا يجد مرونة في توسيع دوائرها. ذلك أنّ مساهمة الشّبكات في توسيع المعجم سيمون له انعكاساته الإيجابيّة، حيث سيغذي اللغة ويزوّدها بمفردات جديدة بهدف المواءمة بينها وبين حاجات العصر، فضلا عن السّماح لها بالتعبير عن معان لم تكن قد عبّرت عنها. فمن خلال الاقتراض أو التّوليد اللّغوي الدّاخلي تحيا اللغة العربيّة، فهي ليست باللغة المأزومة على الأقل إلى الحدّ الذي قد يراه الآخر المناهض لها.

تاريخيّا لم يحدث هذا التّطوّر في النّصوص العربيّة إلّا تحت تأثير القفزات الكبيرة في العلوم والمناهج التي حدثت في القرن العشرين، وقد كانت لها تأثيرات كبرى وبالغة ساهمت في تطوّر نصوصها وانتشارها، وهو ما ساهم في تغيير المفاهيم والرؤى عند الإنسان العربي، كما ساهم اكتشاف الصّور الالكترونية بدءا بالصّور السينمائيّة والمتحرّكة والتلفزيّة انتهاء بالصّورة المحوسبة. وقد مهّد هذا الأمر إلى تطوير واقع اللغة العربيّة، فبفضل تطور الحاسوب وبرمجياته وبفضل توسع شبكات الاتصالات تمّ التّحول من طور الخطابة في السّاحات إلى طور المشهديّة وفق علامات متنوعة ومختلفة. كما سمح كل ذلك بتحقيق انفتاح باهر تحولت بمقتضاه بعض النصّوص العربيّة إلى نصوص رقميّة وتمّ تجاوز إمكان الكتاب الورقي العادي إلى نصوص ناطقة ببلاغات رقميّة [1]. أي استطاعت اللغة العربيّة أن تتخطّى طور الخطابة والمشافهة إلى طور التدوين والمشهديّة، وثم استطاعت أن تحيط» نفسها بجملة من الرّموز والعلامات وتغلّفها بجهاز من الدّلالات والإفادات عبر (...)الوسائط لحصّن وجودها النّفسيّ والماديّ وكيانها العقلي والوجداني بأجهزة صناعيّة وأدوات تقنيّة والتمست لنفسها وسائل ثقافيّة واهتدت إلى تدابير فكريّة ويدويّة من شأنها الاضطلاع بدور الوساطة بينها وبين الأفراد من بني جنسها من جهة وبين المجموعات البشريّة والكون الطّبيعي من جهة أخرى، ومن ثمّ تحوّلت المنزلة البشريّة من إطارها الطبيعي البيولوجي إلى سياق ثقافي متصل بمحيط صناعيّ جديد، وغدت علاقة المرء بالآخرين وبالمحيط الكوني و بذاته أيضا علاقة وسيطيّة (Relation médiatique). وصار ارتباطه بالخارج لا يتحقق إلّا بواسطة على وجه اللّزوم والاقتضاء[2].

1- مازن عرفة، سحر الكتاب وفتنة الصّورة من الثّقافة النّصيّة إلى سلطة اللّامرئي، دمشق- حلبوني، ط1، 2007، ص336.

2- مراد عياد، من الوسائط الإجرائيّة في الأدب العربي القديم بحث في سيميائيات التواصل، ط1، جامعة صفاقس-تونس 2010: ص ص-255 256.

ونظرا لنّقلة النّوعيّة التي شهدتها المجتمعات العربيّة كغيراها من المجتمعات الأخرى، استطاعت أن تجعل» من مجموع الوسائط المتبلورة والتقنيات المتطورة امتدادا لحواسها ولملكاتها وعونا على إحكام وظائفه وجودة أدائه»[1]. وحلّت «المعالجة الرّقميّة للمعرفة والمعلومات بديلا عن الابداع، حيث أضحت المعرفة صناعة تعالج من خلالها البيانات الرقميّة بواسطة أدوات ذكيّة تعاود ترتيب المفردات لتغيير المظهر(...) توهم الإنسان المعاصر أنّ ما بيديه (يمثل نتاجا إبداعيّا جديدا) «[2]. وغدت اللغة العربيّة بفضل تقنيات الاتصال الجديدة مساهمة في إنتاج المعرفة وتوزيعها واستهلاكها بعد أن جعلتها تأخذ اشعاعا لا مثيل له وتضعّفت أضعافا إلى درجة أنّنا أصبحنا نعيش فيضا لا مثيل له من المعلومات اللامتناهيّة انمحت بمقتضاه كلّ الحدود الفاصلة بين الأصل وما يعتبر نسخة.

ولا شكّ أنّ صعوبة تحديد هوية صاحب النصّ سيساهم بدوره في اتساع أفق اللغة العربيّة، فبتحطيم ثنائية المرسل والمتلقي خاصة وقد أزيح الستار. كما طمست سلطة امتلاك الخطاب لدى المتقبل مقابل انبثاق لسلطة المتقبل الفاعل في ضوء تغير حاصل في مراسم التّقبل، وتغير مصاحب لمفهوم البيان في ضوء اتصال اللغة بما هو مرئي. ولا شكّ أنّ هذا الأمر قد يحتاج إلى مقاربات مختلفة. وأمام الانفتاح الباهر للغة العربيّة على الحاسوب تمّ بمقتضاه برمجة الحرف العربي وتحليل المادة اللغوية تحليلا صوتيا ومعجميا ودلاليّا. فضلا عن مساهمته في انتقال الخطاب من الشّفوي إلى الشّاشة وحفظ تراثنا اللغوي المنطوق وجعله رقميّا مسجلا. وأيضا في تحوّل المكتوب إلى نصوص رقميّة فائقة سريعة الانتشار. حيث ساهم كلّ ذلك في تغذيّة عمليات التّحوّل الحاصلة في الخطابة وانتقالها من السّاحة إلى الشّاشة وفرض سلطتها على الآخر والتأثير فيه خاصة في ضوء انتشار التّرجمة الآليّة التي صارت مجاورة للترجمة البشريّة. فبفضل توفر تطبيقات جديدة دعّمت سلطة المنطوق الذي صار يترجم فوريا بمرونة وهو ما من شأنه أن يمكّن الآخر من فهم الذي يتكلّم بغير لغته. كما ساهم انفتاح اللغة على الحاسوب في تشكيل نصوص افتراضيّة مفتوحة تتسم بالتّشظي والانفتاح اللّانهائي حتى في مستوى القراءة الواحدة، سواء أكان ذلك في مستوى عمليات انتاجه أو تلقيه[3].

1- من الوسائط الإجرائيّة في الأدب العربي القديم بحث في سيميائيات التواصل: ص256.

2- حسن مظفر الرزو، الفضاء المعلوماتي، ط1، بيروت لبنان، مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2008، ص226.

3- سحر الكتاب وفتنة الصّورة من الثّقافة النّصيّة إلى سلطة اللّامرئي: ص336-335.

وبهذه الصّبغة التكنولوجية التي تحول بمقتضاها مفهوم الخطبة والخطاب ما كان لها إلّا أن تفعل فعلها فالثقافة والفنون والآداب وكلّ أنماط التّواصل. فلقد غدت الرّقمنة ساريّة في كلّ أنماط التّعبير وغدا الحديث عن وجود النّص الرّقمي والكلام الرقمي، والموسيقى، والرّسم الرقمي والصور والأفلام، وقد سهم كل ذلك في اكتساح اللغة العربية كل هذه المجالات، كما اكتسحت عالم الفن من أوسع أبوابه فغدت شريكة غيرها من اللغات الأخرى في صنع القرار، كما زادها الطابع الرقمي رونقا خاصا فقد لامس جميع العلامات وكلّ أنماط التعّبير الصوتيّة والكتابة البصريّة. وهو ما جعل اللغة العربيّة أصبحت تقتسم الفضاءات الرقمية ذات الخصائص المتنوعة. إنّها معادلة شبه رياضيّة تذكر بالحلم الأفلاطوني لوحدة المعرفة.

لقد أمدت اللغة العربيّة في فضاء التّكنولوجيا الرّقمية وتمّ تحررها من سلطة المكتوب إلى سلطة المرئي. الأمر الذي وجدنا له انعكاساته في مجال السّرديات مثلا فقد تحرر الأدب من خطية السرد المكتوب الذي فرضته تكنولوجيا الطباعة، لينطلق إلى عالم لا متناه من اللاخطيّة إلى التّشعب، فالنصوص غدت متشعبة وفائقة تقبل التّغير الآني والفوري، كما تقبل الامتداد والتوسع والتّقلص والإيجاز حينا آخر، وهذا من شأنه أن يفتح المجال للقارئ كي يمارس حقّه في حرية القراءة طبقا لمعايير مختلفة وهو ما من شأنه أن يؤسس لعلاقات جديدة. فالأدب العربي الرقمي أضيفت إليه أشياء أخرى وهي ليست مكونا أصليا فيه[1]. لذلك فإننا نجد من النصّوص العربيّة من هي مصبغة بطابع رقميّ متضمنة تمثلات فوريّة للصوت والصّورة، إضافة إلى التمثيلات اللغويّة، فمن خلال عمليات التّحوّل استطاعت أن تدمج بين خصائص متنوعة وهذا ما ييسر التّعامل معها تقنيّا. فبفضل البرمجيات التي يوفرها الحاسوب استطاعت تلك النصوص أن تخضع لمقاييس البرمجيات الحديثة خاصة وقد توفرت على خاصيّات انعكست بشكل واضح في مستوى عمليات التّلقي والتحكم فيها سواء بالتكبير والتّصغير والتّلوين والتّسطير والحذف والإضافة والتّصحيح الإملائي أوتبديل مقاطع بمقاطع أخرى أو بتحويلها من مكانها إلى مكان آخر مع نسخها. فضلا عن قابلية هذه النصوص إدماج بعض الرسوم والجداول والأصوات والصور المتحركة، وتمثلها تمثلا لغويّا[2]. كما غدت مرنة تخضع إلى التّعديل الجزئي والكامل فيها. فضلا عن خضوعها

1- جميل عبد المجيد، البلاغة الرقمية، ط1، كنوز المعرفة، 2021.ص41-40-39.

2- سحر الكتاب وفتنة الصّورة من الثّقافة النّصيّة إلى سلطة اللّامرئي: ص337-336.

إلى الابتكار والتّرتيب والتّعديل، والحذف والزيادة، والابتكار[1].

ولا شكّ أنّ توفر هذا النّوع من النّصوص على خاصيّات جديدة سيساهم بشكل واضح في تطورها، كما سيمكنها كلّ ذلك من تصبح قابلة للتّحول إلى تعبيرات سمعيّة وبصريّة تجعلها بدورها قابلة للمشاهدة والاستماع في آن، بدل أن كان تلقيها مرتبطا بممارسة فعل القراءة. وعلى هذا الأساس إذ بفضل تقنيات التّرجمة الالكترونيّة أصبح بالإمكان أن تتحول تلك النصوص إلى مقاطع صوتيّة مترجمة، وهذا من شأنه أن يغذي عمليا إشعاع اللّغة العربية ويفرض سلطتها. فبفضل البرمجيات والتقنيات الحاسوبيّة فُتح المجال النصوص العربيّة في الانتشار فغدت نصوصا متحركة « مما يجعلها أكثر تعقيدا وتنوعا»[2].

إنّ حضور التّرجمات الفورية للغة يجعل من هذه الأخيرة ذات سلطة إلزاميّة على المتلقي. فحضور اللغة وفق وسائط يسمح بإبداع المعاني ويتيح تمرير المقاصد. وهذا إجراء قد يعزز ميثاق التواصل مع الآخر، فالسياسي العربي مثلا ضمن المؤتمرات الدوليّة حينما يتكلم باللغة العربية يفرض على الآخر الانصات، فيعمد هذا الأخير إلى إقامة ترجمات خاصة تمكنه من الفهم. وهذا من شأنه أن يذكي سلطة اللغة العربيّة ويدعم أفق الحوار التّواصل المستندين إلى اعتراف متبادل، فأن يحرص هؤلاء على التّرجمة فذلك سيغذي حتما سلطة لغتنا.

2- النّصوص الفائقة وسلطة الخطاب الرّقمي

بفضل الشرخ العميق الذي أحدثته الرّقمنة والوسائل التكنولوجية الحديثة ومن أجل الانفتاح على الآخر، حلّت النّصوص الفائقة المحمّلة بمعلومات محل الطّرق البسيطة التي يعتمدها الانسان. وانتقل نمط الاتصال من نمط اتصالي بسيط إلى نمط جديد يقوم على الرّقمنة والتّدفق والسيلان. وتحولت بمقتضاه الإنسانيّة إلى مجتمعات سائلة، حيث تقلّصت المسافات إلى حدّ زوالها، وصار المكان زمنا لحظيا، كما تعاظمت عملية الترابط بين المحتويات الرّقمية والكيانات الافتراضيّة شكّلت عالما جديدا من الترابطات الفائقة واللانهائيّة. وصار الحديث عن « ترابط النّص المترابط»[3]. وهو ما يعني انتقال النّصوص

1- يمكن العودة بخصوص هذه المصطلحات إلى: بلاغة الخطاب السياسي أعمال مهدات إلى الدكتور سعيد بنكراد، إعداد وتنسيق محمد مشبال، ط1، 2016، ص66-65.

2- سحر الكتاب وفتنة الصّورة من الثّقافة النّصيّة إلى سلطة اللّامرئي: ص339.

3- سعيد يقطين، من النّص إلى النّص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التّفاعلي، بيروت لبنان، المركز الثقافي العربي، 2005.

من الطور الشّفوي والخطّي إلى حالة النّصوص المترابطة، أو المفتوحة، وهي عبارة عن مجموعة من الشبكات المعقدة تمثل حقولا لا حدود لها، تتوسع إلى ما لا نهاية، خالقة نصوصا ثانويّة وما وراء النّصوص الأصليّة. وقد عمد المختص جيرمي ريفكين إلى إقامة مقارنة بين النصوص المطبوعة والنّصوص الفائقة، معتبرا أنّ الأولى مقيدة وراسخة، لها بداية ونهاية. وأمّا النّصوص الفائقة ترابطيّة، لا حدود مضبوطة لها، » فهي نصوص تعيد التشكّل دائما ولا تتكامل أبدا»[1].

فضلا عن ذلك تتميّز هذه النصوص الفائقة بقابليتها للدّمج وإعادة التّنظيم والتركيب وفق أشكال جديدة وبطرق سريعة. وتصبح الحركة عندئذ في النّص المترابط شبيهة بقفزات تشعبيّة وبتجوال حرّ في فضاء افتراضي وبمسارات شبكيّة عنكبوتيّة، بعيدا عن أيّ جاذبيّة أو قيود تحد من حريّة الحركة والتّنقل.

ومن منطلق أنّ النصوص العربيّة الصادرة قابلة للعرض والطّلب من جهة، غدت نصوصا فائقة قابلة للمعالجة الآليّة يحصل فيها الاستبدال والتغيير والتحويل جعلها تتسم بفاعليتها اللانهائيّة. إضافة إلى أنّ ميزة هذه النصوص تعيد تشكيل ذاتها بصفة مستمرة ودائمة، الوصول إليها مرتبط بالدخول اللحظي الآني[2]. فضلا عن ذلك فإنّ ميزة هذا النوع من النّصوص الفائقة والافتراضية، أنّها تتشكل كبنى رقميّة لا تحيل إلّا على ذاتها، فاقدة للهويّة وفاقدة للأصل، فتغدو كالآلات، يقول جان بودريار في الإطار:» نجلس أمام الشّاشة حتّى نتوقف عن إدراك النّص بوصفه نصّا. فهو يتحوّل إلى صورة ويغادر هويته الأولى كنصّ(إشارة إلى النصوص الشعرية مثلا والقرآن الكريم) فالنّصوص والصّور والأفلام والخطابات وبرامج الحاسوب كلها إنتاجات لها بنية الآلة: فهي مشكّلة بشكل اصطناعي، إضافة إلى كونها نصوصا حافلة بالحشو الذي مردّه إلى الإرادة الماكرة للآلة في الاستمرار في الاشتغال مهما كان الثّمن، فهي من صنع وكلاء افتراضيين، لا يقومون سوى بعمليّة واحدة، هي البرمجة في حين تنفذ باقي العمليات بكيفيّة آليّة، وهذا موضوع السيبرنطيقا، على التحكم من الدّاخل في الصورة والنّص والجسد، التحكم من الرحم عبر تحريك، وتسخير الرّموز والخصائص الوراثيّة»[3].

1- جيرمي ريفكين، عصر الوصول، الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، ترجمة صديق الدّملوجي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، 2009، ص379.

2- عصر الوصول: الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة: ص379.

3- جان بودريار، الفكر الجذري: أطروحة موت الواقع، ترجمة منير الحجوجي وأحمد القصوار، ط1، الدار البيضاء المغرب، 2006، ص21-20.

فضلا عن ذلك تعمد النّصوص المعلوماتيّة السّابحة إلى تقويض إحدى المميزات الرئيسيّة للوعي الطّباعي، فالنّص الفائق يتمرّد على مفهوم التأليف التقليدي ويجعله ضبابيّا، تطمس بمقتضاه كلّ الحدود الفاصلة بين جميع مساهمات الأفراد عند الاستعمال، بما يقيمونه من عمليات قطع وإعادة دمج وحذف، وهو ما يسمح بتحولها إلى كيانات معلوماتيّة وتصبح» جزءا من سيرورة مفتوحة، موزعة عبر الزمن والمكان « بدل أن تكون منتوجا متكاملا لجهود خلاقة لشخص واحد، وبمقتضاه يصبح حصر الملكيّة صعبا أحيانا»[1]. كما تتميّز هذه النّصوص بكونها تأبى الملكية الشّخصيّة، ويتعالى عنها إذ يغدو ملكيّة مشاعة عند المستخدمين وإن كانوا يتعاملون مع هذا النّوع من النّصوص على أنّه كيان خاضع للتّعديل اللّامتناهي، مما يجعله يفتقد أصله وينمحي وتصير النّسخة هي الأصل وهذا ما يقود إلى انمحاء آثار المؤلف أو بعبارة بارت» موت المؤلف.

في هذا الإطار يتحدّث الفيلسوف جون فرنسوا ليوتار عن وضع هذه الذّات في الشّبكات الإلكترونية، فهي تتعرض للانتهاك اللامتناهي وتنمحي بفعل الاستنساخ المتكرر الذي يقترب من إزالة أثرها، لأنّها لا تنعدم انعداما مطلقا، بل تظل حاضرة في شكل ذات علائقيّة، لا تحيل على ما يحدّد طابع هويتها، وإنّما تحضر كذات متجاوزة لعزلتها وخصوصياتها[2]. وبفضل المعالجة الرقميّة أصبحت النصوص باللغة العربيّة تنهض كبدائل عن الابداع، خاصة وقد « أضحت المعرفة صناعة تعالج من خلالها البيانات الرقميّة بواسطة أدوات ذكيّة تعاود ترتيب المفردات لتغيير المظهر (...) توهم الإنسان المعاصر أن ما بيديه(نتاجا إبداعيّا جديدا)[3]. ومن منطلق أنّ النّص الفائق يمثّل» رسائل محبوكة إنتاجا، وليدة سيرورة معقّدة تتداخل ضمنها ظروف الإنتاج والكتابة والقراءة بالرجوع إلى التاريخ الاجتماعي والرّموز السّائدة»[4] لذلك فهو غير منعزل عن السيرورة الاجتماعية المعقدة أو عن طرق القراءة المتنوعة، فهو يمثّل « جزءا من نصوص حاضرة، ونتاجا لقراءات مختلفة ومتعددة، ليس فضاء بريئا له مصادره وامتداداته الممكنة[5]، صار بمقتضاها يتأسس على بلاغات مكنته من فرض سلطته على المتلقي.

1- عصر الوصول: الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة: ص381-380.

2- Jeans , François, Lyotard, The postmodern condition : A report on knowledge Translated by Braian Massumi1984; p15.

3- حسن مظفر الرزو، الفضاء المعلوماتي، ط2، مركز الوحدة العربيّة بيروت لبنان، 2008، ص226.

4- Robert Escarpit, Le littérature et le social. Eléments pour une sociologie de la littérature, paris, Flammarion, 1970, p21.

5- Ibid ;p21.

3- سلطة الخطاب من الألسنية إلى الفضاء المعلوماتي

يقيم اللساني أوزوالد ديكرو بعض أطاريحه على فكرة أن لا وجود لخطاب بريء[1]، شأنه في ذلك شأن ميشال فوكو الذي يرى بأنّ الخطاب ليس مجرد معرفة علميّة خالصة أو أداة من في يدّ السلطة أو انعكاس لها. فالخطاب يشكّل في حدّ ذاته سلطة لها استراتيجياتها في الهيمنة والسيطرة والقلب[2]. ويمكن لتلك السلطة أن تتحول اليوم إلى تقنية خطابيّة تكسر فيه اللغة « إملاء العيان المباشر وتنظم شواش الاحساسات المتنوعة للأشياء القابلة للمطابقة»[3]. ولما كان المجتمع بسلطته يمارس نوعا من المراقبة، بإعادة التعديل المستمر للخطاب. فإنّ هذا الأخير بعد أن أضحى متطورا بفضل التقنية ووسائل الاتصال المعاصرة، صارت عمليات ضبطه تتخذ صورا جديدة تقذف به إلى مآلات متعدّدة. فالخطاب لم يعد ينظر إليه باعتباره جملة الأقوال المنظمة وإنّما غدا « شيء بين الأشياء، وهو ككل الأشياء موضوع صراع من أجل الحصول على السلطة»[4]. وعلى هذا الأسس حدد الخطاب بكونه جملة من الممارسات الإنسانيّة ضمن حقل له فاعلوه المهيمنون والقادرون على التحكم في مختلف الإجراءات والآليات[5].

أمّا بخصوص الخطاب الافتراضي فله آلياته، فهو في مرحلة أولى يحافظ على نفس الآليات التي ينهض عليها الخطاب اللساني العادي، ولكن لهذه الصنف الجديد يطغى عليه التداخل واللا تحديد والترابط والانفصال وإخفاء الأصول المرجعيّة. كما يعمد هذا النّوع إلى بناء هوية الخطاب وفق المنطق الترابطي والتشعبي، إذ يلغي الحدود الفاصلة بين المرسل والمتلقي والمؤلف والقارئ ومحتوى الخطاب، والسياق والمعنى واللامعنى، مما ينجر عنه تحول حاصل في هوية المؤلف والقارئ المنعزل. وتنهار الذات المتعالية التي تحقق وجودها من خلال امتلاك الأصل. كما تنتقل السلطة من وضعها الطبيعي إلى وضع

1- انظر: عبد الرزاق بنور، الأطر الإيديولوجيّة لبعض نظريات الحجاج، ضمن مصنف الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، ج2، الحجاج مدارس وأعلام، ط1، عالم الكتاب الحديث، 2010، ص312.

2- الكلمات والأشياء: ص11-10.

3- يورغن هابرماس، العلم والتقنيّة كإديولوجيا، ترجمة حسن صقر، ط1، بيروت، 2003، ص22.

4- ميشال فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، بيروت، دار التّنوير للطباعة، ط2، 2007، ص49.

5- نظام الخطاب: ص 19-11.

جديد دينامي[1]. فضلا عن ذلك إذ تتمركز كل الآليات التي يشتغل بها الفضاء المعلوماتي وتصبح في تسارع، مما يحصل بمقتضاها تزايد في عمليات الدمج بين الوسيط والرسالة، فتختفي كل البنى والثنائيات التي تبنى التنظيم الاستدلالي للغة. وباعتبار أنّ كل تمفصل من شأنه أن يصبح محددا للمعنى، فبمقتضاه يغدو الانتقال من مقام الإنتاج إلى مقام التلقي نقطة مطلقة لا تقيم تعيينا واضحا للمعنى. وهنا تختفي وتتحول السلطة القائمة في الخطاب من حال السلطة المتعيّنة إلى حال السلطة اللامتعيّنة. وبناء على هذا فإننا نساءل عن الكيفيّة التي يعمل بها الخطاب في الفضاء المعلوماتي في إنتاج نمط سلطته؟ وما آليات اشتغاله؟

يرى ميشال فوكو بأنّ الخطاب لا ينحصر في مجرد كونه معرفة علميّة خالصة، لذلك فهو يؤكد ضرورة أن» لا بدّ من انتزاع الكلمات من أثوابها المعتادة، ووضعها ثانيّة في العراج خارج قوالبها، وحرمان الملفوظ من متكئه الدلالي»[2]. كما لا يعتبره أداة في يد السلطة أو انعكاس لها، وإنّما يشكّل في حدّ ذاته سلطة، لها استراتيجياتها في الهيمنة والسيطرة. كما يشير هابرماس أيضا إلى أنّ السلطة يمكن أن تتحول إلى تقنيّة خطابيّة تكسر فيه اللغة» إملاء العيان المباشر وتنظم شواش الاحساسات المتنوعة للأشياء القابلة للمطابقة» [3]. والواضح أنّ السيطرة تتم ليس فقط بواسطة التّقنية، وإنّما كتقنية تقدم للسلطة السياسيّة المتناميّة، التي تضمّ مجالات الثقافة كلّها- الشرعيّة الكبرى»[4].

بالتّالي تُحدد السّلطة بوصفها وضعية استراتيجية معقدة، غير أنّها لمّا تأتي متصلة باللغة والتكنولوجيا يتحول بمقتضاها الخطاب إلى تكنولوجية خطابية، وهذا ملح آخر قد تجد فيه اللغة العربية انتعاشة، فتداخلها بالخطاب والسلطة والتكنولوجيا قد يُحوّلها إلى قوة هائلة يمكن أن تقلب الواقع وتغيره. وتغيّر الشعوب كما نظّر إلى ذلك علماء الاجتماع مرتهن بمثل هذه التّغيّرات الحتميّة التي يجب أن تطال اللغة أولا وهي في مرحلة انتقال وتحول من الساحة مجسدة في الخطابة إلى الصورة. لا بالاقتصار على كونها» مجموعة من

1- الكتابة والسلطة، بحوث علمية محكمة، أعمال المؤتمر الدولي الثالث، إشراف وتنسيق عبد الله بريمي، سعيد كريمي، البشير التّهالي، كنوز المعرفة، 2014، ص380.

2- ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، ترجمة مطاع صفدي وسالم يفوت، بيروت، مركز الانماء القومي، 1990، من مقدمة الترجمة، ص10.

3- العلم والتقنيّة كإديولوجيا: ص22.

4- العلم والتقنيّة كإديولوجيا: ص47

الأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» بعبارة ابن جني، ففي زمن التحولات الرقميّة غدت اللغة بدورها فضاء رقميا يشتغل طبقا لآليات حوسبيّة. وتعدّ هذه الأخيرة» القوّة الدّافعة لحركة واسعة من التغيرات الاجتماعيّة والتّاريخيّة التي تمرّ بها المجتمعات خلال هذه العقود، وربّما حتّى الحضارة. فهذه التكنولوجيا ظاهرة فريدة من نوعها، تعرب عن حركة مذهلة من التحولات الاجتماعيّة والثّقافيّة، ترتبط بشبكة الحياة الاجتماعيّة وحوسبتها. وتنعكس آثارها على جميع مجالات التّنظيم الاجتماعي»[1]

لقد أضحت الخطابات الرقميّة تحتل مساحات شاسعة في الفضاء الرقمي، كما أصبح بالإمكان كتابتها وطباعتها بواسطة الحاسوب، بل بدأت تترافق بحوامل مادية لمنظومات سمعية- بصرية، كالأشرطة الصوتيّة وأشرطة الفيديو أو الأقراص الحاسوبية لمدمجة، وتسمّى حاليا بوسائل إيضاح مرافقة للنص اللغوي المسجل على الورق. ولا شكّ أنّ الانتقال من النّص الورقي إلى النّص المابعد الحداثي، هو المعادل الفكري والفلسفي للثورة الصناعية التي بشّر تيار الحداثة بعقلانيتها وحقائقها الشموليّة والمطلقة. «وهكذا فإن المراحل الانتقاليّة ما بين عصر الثورة الصناعيّة وعصر ثورة المعلومات والاتصالات هي نفسها مراحل الانتقال من تيارات الحداثة إلى تيارات ما بعد الحداثة. وهذا يعني أنه بالإضافة إلى التّطور والصّراع والتنافر فيما بينهما هناك مكان للتجاوز والانسجام والتآلف ما بين بعض العناصر والأشكال منها. وهو ما سيؤدي بالنتيجة إلى الاندماج بين بعض منها وإلغاء بعضها الآخر في تجمعات فريدة تطوريّة»[2].

4- العربيّة وحضور المعنى وغيابه في الفضاء الرّقمي

تخضع عمليات إنتاج المعنى ضمن النصوص الفائقة إلى سيرورة إدراكيّة معقّدة، يصفها البعض بكونها متصلة بتصورات أنطولوجيّة، يمكن للفرد أن يتبناها لوصف كيانات وجوديّة. لذلك فما يعدا أنطولوجيّا يمكن أن يصبح أداة مرجعيّة، وفقها يقع تقديم فهم معمق للواقع وللكينونة. ومن منطلق أنّ إنتاج المعنى في الفضاء المعلوماتي صار مرتبطا ارتباطا وثيقا بأنطولوجيا المعلوماتيّة، فإنّ للغة العربيّة بخضوعها لآليات المعالجة الآلية يمكنها أن تصبح قادرة على أن تستمد وجودها من الارتباطات القائمة بينها، وبين غيرها من المستويات الوجوديّة لضمان تطبيقاتها على أرض الواقع التقليدي أو البيئة الرقميّة

1- الكتابة والسّلطة: ص384.

2- سحر الكتاب وفتنة الصّورة من الثّقافة النّصيّة إلى سلطة اللّامرئي: ص 331

سواء عبر آليات معلوماتيّة يوظف فيها المنطق الرياضي المحوسب[1]، خاصة وأنّها محكومة بهذا المنطق الرياضي، مما يجعل انتاج معانيها محكوما أيضا بفرضيات، فإمّا أن يتنج المعنى ويأتي متصلا بدلالات وإمّا أن ينتج وهو خارج عنها، أو أنّه على العكس من ذلك، مطلق وضروري بين الاثنين. مما يعنى أنّ اتصال اللغة العربية بالفضاء المعلوماتي إمّا أن يكون مدمرا للمعنى والدلالة أو أن يؤول على أنّه إنتاج متداول مسرع للمعنى وفائض قيمة. أي أنّ المعنى الناتج عن نصوص فائقة هي معان يعاد توزيعها توزيعا ثانيا طبقا لوجود مؤولين. ونظرا لكون الغاية الأساسيّة من كل تواصل أو اتصال هي استيفاء عملية التلقي بشكل قبلي ولو كان على حساب عمليات التواصل ذاتها. بالتّالي فإنّ التفكير في عمليات تشكل المعنى ضمن النصوص الفائقة سيبقى رهين عمليات تأويل وفك شفرات ومضامين الرسائل الناتجة عن وجود الوسيط[2]. وربما هذا ما دفع بالبعض إلى اعتبار اللغة العربيّة في علاقتها بالتكنولوجيا أصبحت « تدور حول نفسها وتعيد إنتاج مأزقها الخاص في شكل فرجة، لأنّه لم يعد بمقدورها أن تتحرر من تلابيب هذا الفيض المعلوماتي الغزير، فلم يعد بمقدورها أن تجد لنفسها معنى خارجها ولا أن تتجاوز كونها وسيطا قادرا على تسميّة العالم وتقديمه كمعلومة ومنحه معنى»[3].

إنّ سلطة اللغة العربيّة المقترنة بالاتصال التكنولوجي تتجلّى انطلاقا من تعويم المعنى، «وحمل الدّال على دلالة لا مرجع ولا سياق لها، وهذه السلطة هي في الأصل نابعة عن دمج الوسيط والرّسالة(...) لكن الأكيد أنّ هناك عوامل متعدّدة تسهم في إنتاج نمط الخطاب في الفضاء المعلوماتي»[4]. خاصة وأنّ مثل هذا الخطاب يحتضن بدائل أخرى تجعله يضرب في كل الاتجاهات. لأنّه لم يعد ثمة حيز يمكن فيه للألفاظ والعبارات أن تلتحم مع غيرها اعتباطيّا في بنية لا تقبل الانقسام. لذلك فإنّ كل عبارة أو لفظة تطغى على عقل المتلقي، » ولا تترك له مجالا للتمييز بين عناصرها أو تطوير فكر نقديّ، لأنّ الرزمة كلها إنّما تتحرك واحدة مختومة ومصنّفة»[5].

1- الكتابة والسلطة، بحوث علمية محكمة، أعمال المؤتمر الدولي الثالث، إشراف وتنسيق عبد الله بريمي، سعيد كريمي، البشير التّهالي، كنوز المعرفة، 2014، ص397.

2- الكتابة والسّلطة: ص397.

3- جون بودريار، الفكر الجذري: أطروحة موت الواقع، ترجمة منير الحجوجي وأحمد القصوار، الدارب البيضاء المغرب، ط1، 2006، ص51-49.

4- الكتابة والسّلطة: ص400-399.

5- الكتابة والسلطة: ص401-400.

وفي سياق الدّمج بين الألفاظ والبرمجيات نلاحظ التحاما في بنية غير قابلة للانقسام ولا التّغير، إذ تسعى اللغة العربيّة إلى الحفاظ عن هويتها من فرط الدّمج حفاظا على سلطتها وإن كانت الماهيّة الاتصالية أقرب إلى الوسيط الرقمي. وعلى هذا الأساس تتأكد سلطة اللغة العربيّة انطلاقا من صفتها الرقميّة باعتبارها تتنزل ضمن نصوص فائقة من خلال تمرير معاني متناقضة تماما من قبيل المعنى وضدّه. وقد نوه أحد الباحثين بذلك معتبرا أن استخدام لغة مختصرة مستمدة من عالم التجارة والدعاية يحدث ردود أفعال آلية لدى البشر[1]. فالأسلوب التجاري مثلا طور من اللغة العربيّة وجعلها لغة من لغات التجار المكتسحة للأسواق. مع الأخذ في الحسبان حضور العناصر المناسبة والمعزز التي سيصبح لها حضور كاف، إذ يمكن أن تحجب بعض الاعتبارات الأخرى في عقل المشاهد من ذلك الجداول والرسوم التوضيحية والبيانية وتصميم الشاشة، حيث تهيأ مثل هذه الأشكال لتتناسب مع المقام منتجة بلاغة جديدة هي بلاغة بصرية» تتسع لتشمل مجموعة واسعة من الأشكال، بدءا من النص وتصميم الشاشة إلى الصور والرسومات التوضيحية إلى عرض المعلومات الكميّة. تكون هذه الأشكال بلاغة بصريّة يكيفها البلاغيون، كما هي الحال في اللغة الشفاهية لتتماشى مع الجمهور والغرض والسياق»[2].

على هذا الأساس قد تتخفى اللغة ويتخفّى الخطاب في فضاء المعلومات وراء العديد من الإيديولوجيات التي تعمل على التسطيح والإفراغ مع التكثيف للمعنى وجعله مكتظا ضمن مسارات افتراضيّة لا متناهيّة. لدرجة أننا كثيرا ما ننقر ونحن في خضم عمليات إبحار تجعلنا لا نلتفت إلى المحتوى الذي يطل علينا نظرا لسرعة الانتقال بين صفحات الويب المختلفة. وهذا ما من شأنه أن يدعم القول بأنّ اللغة العربيّة يمكن أن تتغذى بهذا الاندماج الحاصل بينها وبين فعل التواصل الافتراضي الذي ينساب دون ضجيج. باعتبار أنّ الصمت يتحول إلى أفق للتواصل ومجال للكلام. وهذا ما يجعل التّمييز بين عالم الأشياء وعالم الكلمات سرعان ما يزول في اللغة وتصبح الكلمات تصنع وتبدع الأشياء وتعيد صياغتها. وعلى هذا الأساس يصبح جوهر اللغة ينهض على فكرة بناء السلطة[3].

لقد أفضى اتصال اللغة بتقنيات التواصل الجديدة معيارا لمعايير تطور اللغة وانفتاحها على العالم انطلاقا من خلق علاقات جديدة كرسها تقنيات التواصل بين الفرد

1- آلن هو، النظريّة النقديّة، ترجمة ثائر ديب، المركز القومي للترجمة، ط2010، ص128-127.

2- جميل عبد المجيد، البلاغة الرّقميّة، ط1، دار كنوز المعرفة، 2021. ص 101.

3- الكتابة والسّلطة: ص511-510.

نفسه والمجتمع، بينه وبين اللغة، فالفضاء الرقمي فضاء تواصلي شبكي يغذي اللغة انطلاقا مما يقيمه من تشعبات، ووفرة معلوماتيّة، باتت من المؤكد أنّها تدفع باللغة إلى خلق عوالم جديدة، إذ بفضل فضاء الأنترنيت استطاعت اللغة العربية أن تفتح أفاقا جديدة باستثمار إمكاناتها الهائلة لتكون لغة منفتحة وذلك في إطار الاستثمار لكل الإمكانات والتّحولات التي ستشكل مقدمات أولى لمجتمع معلوماتي متطور، في ضوء تعدد طرق التّعبير وإن لا حظنا وجود تجاوزات في أحايين كثيرة قد تطال «التعبيرات اللغويّة إلى جانب التعبيرات السمعيّة- البصريّة، من صور ثابتة ومتحركة وأصوات متنوعة، إلّا أنّ التعبيرات السمعيّة- البصريّة - أخذت تتحرر شيئا فشيئا من سطوة المنظومات اللغوية وتزيحها من أفقها وحقول فعلها، لترتكز إلى على الصورة والمؤثرات الصوتيّة بشكل حاسم. وليتحول الخطاب عندئذ في حال وجوده معها من ترميزاته اللّغوية المادية إلى سياقاته الأصلية الشفاهيّة» [1]. وحسب هذا المنظور تصبح وظيفة اللغة تكمن «في توجيه المتلقي إلى معان معيّنة عبر جملة من الأيقونات البصريّة التي تساعد على تلبيّة رغبة الخطيب»[2].

وبناء على هذا الأمر إذ يحدد المعنى انطلاقا اتصال اللغة الرقمية بالألوان ولا شكّ أن فهم دلالاتها مقترن بالنسق العام الذي يتصل بكل لون. فضلا عن نوعية الخطوط المستعملة، فالكلمات تحضر بخطوط متنوعة، وهذا التّنويع من شأنه أن يعمق فهم المعنى. ولكنه يغذي سلطة الخطاب في آن. وباعتبار أنّ اللغة العربية خاضعة لجملة هذه الضوابط ستجعل الآخر الغير ناطق بها مجبرا على تتبع معانيها والعمل على محاصرتها وفهمها. وهذا بدوره يعزز مكانتها في الأوساط المعلوماتيّة والافتراضيّة كما يعزز سلطتها. فهي لغة تأبى الحصار، متجددة وقابلة الانفتاح على كل الإمكانات الرّقميّة وهذا يعدّ رهانا بارزا يؤكد تطورها.

1- سحر الكتاب وفتنة الصّورة من الثّقافة النّصيّة إلى سلطة المرئي: ص329.

2- الكتابة والسّلطة: ص508.

خاتمة

إنّ العربيّة لغة العلوم التقنيّة، تستخدم ألفاظا حسيّة وأسلوبا ديناميكيا يمنحها القدرة على الحركة ويكسبها مرونة، كما يساهم في ثرائها المعجمي الذي يضمن لها القدرة التبليغيّة انطلاقا مما يخلقه من ثراء على مستوى الأسلوب. وهذا من شأنه أن يوسع دوائر الاستعمال لهذه اللغة ويساهم في إشعاعها. كما يساهم ذلك في جذب متكلمين جدد للعربيّة، وصناعة جيل جديد من المتعاملين بها في أنحاء العالم، وقد يكسبها ذلك مكانة عالية ويسهّل اندماجها في المنظومة المعرفيّة العالميّة.» فكلما تعلّم النّاس لغة ما أصبحت مفيدة، وكلما كانت اللغة مفيدة رغب النّاس في تعلّمها»[1].

وعليه فإنّ تطور اللغة العربيّة يشترط وعيا بالتّطورات التي يفرضها العصر، وذلك بفهم أدواته ومراعاة مفاهيمه المركزيّة مادام الذين يتكلمونها ليسوا هم من يسطرون على سلطة القرار ولا يرسمون منحاه. وعليه فإنّ انفتاح هذه اللغة على وسائل التواصل الجديدة سيجعلها مؤهلة تأهلا لا مثيل له في إنتاج المعرفة وتوزيعها واستهلاكها، ومضاعفة المعرفة الإنسانيّة أضعافا كثيرة، كما سيساهم اتصال سماتها اللسانيّة بالسمات الالكترونية في إحداث قفزات نوعيّة من شأنها أن تغذي فكرة انتقال الخطاب من شكل مغلق إلى شكل مفتوح متضمن على خصائص جديدة موسومة بخصائص العصر الالكتروني الذي يعيش فيه الأفراد تحت ظروف حياتية متنوعة حيث لا يجد القارئ فيه وقتا مفتوحا للقراءة بما يتطلبه من هدوء وتأمل وتفكير، في حين يمكنه تلقي رسائل الصورة بدءا من النظرة الخاطفة إليها في انشغالاته، وتدرجا حتى التأمل العميق فيها بقدر ما تسمح به وتيرة الحياة المتسارعة.

إنّ اللغة العربيّة لغة إلزاميّة وكذلك سلطة تشريعيّة وإلزامية قانونها اللسان العربي، بفعل التكرار والاجترار الذي يطال الكلمات التي يتداولها الأفراد. كما أنّها تقول ما يسمح به المجتمع. وبذلك فهي مهما تماهت مع النصوص الافتراضية تظل خاضعة لتأثير الطقوس والعادات وتحت الضغط وسيلة تخفي بها الذات المتكلمة ما تود قوله، أي أنّ الذات تتكلم في حدود ما يسمح به المجتمع، وهكذا تظل اللغة العربيّة ظاهرة إنسانيّة متطورة وظفها الانسان للتواصل مع محيطه، توسل بها لخوض غمار الحياة بعلومها وسياستها وثقافتها واقتصادها.

1- فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، عبد السّلام رضوان، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد263، 2000، ص107-106.

إنّ اللغة العربيّة استطاعت بفضل ما توفر لها من إمكانات من أن تكون لغة منفتحة ومتطورة. ذلك أنّ النصوص الافتراضيّة وما تكشف عنه من قضايا يؤكد طواعية هذه اللغة في التعامل مع الحواسيب والبرمجيات الرقميّة.

قائمة المراجع المعتمدة

- بلاغة الخطاب السياسي عمال مهدات إلى الدكتور سعيد بنكراد، إعداد وتنسيق محمد مشبال، ط1، 2016.
- بودريار (جون)، الفكر الجذري: أطروحة موت الواقع، ترجمة منير الحجوجي وأحمد القصوار، ط1، الدار البيضاء المغرب، 2006.
- البرغوثي، (محمد حسن)، الثقافة العربيّة والعولمة، دراسة سوسيولوجيّة لآراء المثقفين العربط1، الأردن، 2007.
- بنور (عبد الرّزاق)، الأطر الإيديولوجيّة لبعض نظريات الحجاج، ضمن مصنف الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، ج2، الحجاج مدارس وأعلام، ط1، عالم الكتاب الحديث، 2010.
- تقرير تنميّة اللغة العربيّة 2009، نحو تواصل معرفي منتج، الامرات العربيّة المتحدة، 2009.
- الجاحظ (عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، ج1، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة، 2003.
- الرزو (حسن مظفر)، الفضاء المعلوماتي، ط2، مركز الوحدة العربيّة بيروت لبنان، 2008.
- ريفكين (جيرمي)، عصر الوصول: الثقافة الجديدة للرأسماليّة المفرطة، ترجمة صديق الدّملوجي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، 2009.
- عبد المجيد (جميل)، البلاغة الرقمية، ط1، كنوز المعرفة، 2021.
- عرفة (مازن)، سحر الكتاب وفتنة الصّورة من الثّقافة النّصيّة إلى سلطة المرئي، ط1، دمشق، 2007.
- عياد (مراد)، من الوسائط الإجرائيّة في الأدب العربي القديم بحث في سيميائيات التواصل، ط1، جامعة صفاقس-تونس 2010.

شركاؤنا الإستراتيجيون

شارع زعبيل – دبي – الإمارات العربية المتحدة
هاتف : 97143961777+، فاكس : 97143961314+، ص . ب : 50106
البريد الإلكتروني : info@alwasl.ac.ae
موقع الجامعة : www.alwasl.ac.ae